



الفلسفة ثانية باك

مفهوم الدولة (المحور الأول : مشروعية الدولة وغاياتها)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية

II- الموقف الفلسفی 1 : ماكس فيبر

1-1/ النص الفلسفی

2-2/ الأسئلة

3-2/ التصور الفلسفی

III- الموقف الفلسفی 2 : باروخ سبينوزا

1-3/ النص الفلسفی

2-3/ الأسئلة

3-3/ التصور الفلسفی

IV- الموقف الفلسفی 3 : توماس هوبز

1-4/ النص الفلسفی

2-4/ الأسئلة

3-4/ التصور الفلسفی

V- تركيب

I- الإشكالية

إن تناول مفهوم الدولة باعتبارها تجتمعاً بشرياً منظماً سياسياً ومؤطراً بمؤسسات وقوانين تهدف تنظيم المجال العام وخلق حياة آمنة ومستقرة لجميع الأفراد يحمل في طياته عدة مفارقات ضمنية وصريرة، منها أن الدولة وجدت للحد من العنف الطبيعي للإنسان فإذا بها تتخذ من العنف وسيلة لفرض وجودها، وهنا نجد أنفسنا أمام إشكال قضية مشروعية (وجود الدولة وغاياتها)، ما يطرح مجموعة من التساؤلات :

• لم الدولة ؟

- ما الغاية من وجود الدولة ؟
- هل هي تحقيق حرية الأفراد باعتبارها وسيلة أم السيادة ونشر القيم العقلية باعتبار الدولة غاية في ذاتها ؟
- من أين تستمد مشروعية وجودها ؟
- من الأفراد أو التعاقد أم من ذاتها أم من الصراع الطبقي أو الطبقة المهيمنة ؟

||- الموقف الفلسفى 1 : ماكس فيبر

1-2 / النص الفلسفى

ماكس فيبر

مشروعية سلطة الدولة

يعتبر فيبر أن السياسة هي مجال تدبير الشأن العام وتسييره. والدولة ذاتها ليست، حسب فيبر، إلا تعبيراً عن علاقات الهيمنة القائمة في المجتمع، وهي الهيمنة التي تقوم على مبدأ المشروعية. وفي هذا النص المقتطف من كتاب «رجل العلم ورجل السياسة» يحاول فيبر تحديد أنواع هذه المشروعية التي تشكل أساس الأشكال المختلفة للدولة.

«هناك ثلاثة أسسٍ للمشروعية. هناك أولاً سلطة «الأُمِّ الْأَزْلِيِّ» أي سلطة العادات والتقاليد التي تكرسها صلاحيتها العتيقة، وعادة احترامها المتجذرة في الإنسان. وتلك هي السلطة التقليدية التي كان الأُبُّ الْأَكْبَرُ أو الشیخ يمارسها في الماضي.

ثانياً، هناك السلطة القائمة على المزايا الشخصية الفاقعة لشخص ما. وهي سلطة تميّز بتفاني الرّعايا تجاه القضايا التي يدعولها هذا الإنسان الملهّم أو المتميّز أو المتمعن في نظرهم بصفاتٍ خارقة، وبيطولات نادرة وبالميزات الأخرى التي يجعل منه زعيمًا متميّزًا. هذه هي السلطة الـ^{الذينيّة} (الـ^{الكاّريزميّة}) التي كان يتمتع بها الأنبياء ويمارسونها. وفي المجال السياسي يمارسها رئيس أركان الحزب المتخب أو العاشر الملهّم، أو الديماغوجي الكبير أو زعيم الحزب السياسي.

ثالثاً، هناك أخيراً السلطة التي تفرض نفسها بواسطة الشرعية، أي بفضل الاعتقاد في صلاحية نظام مشروع وكفاءة إيجابية قائمة على قواعد حكم عقلانية. فهي السلطة القائمة على أساس الامتثال للواجبات والالتزامات المطابقة لقوانين النظام القائم. وهذه هي السلطة كما يمارسها «خادم الدولة» الحديثة وكل الذين يمسكون بزمام السلطة والذين يعملون في هذا الإطار معه.

إن الدوافع القوية جداً، الحكومة بالخوف أو بالأمل هي التي تشرط امتثال الأفراد إما خشية من إنقاص القوى السحرية أو من المسكين بزمام السلطة، أو الأمل في مكافأة دنيوية أو في العالم الآخر. لكن يمكنها أن تكون مشروطة أيضًا بمصالح أخرى متنوعة جداً.. مهما يكن من أمر ففي كل مرة نتساءل فيها عن الأسس التي يجعل الامتثال مشروعًا نصادف دومًا هذه الأشكال الثلاثة (الختالصة) التي أشرنا إليها تلويًّا.

إن هذه التمثلات، وتبيرها الداخلي أيضًا، تتمتع بأهمية كبيرة بالنسبة لبني السيطرة. من المؤكد أننا لا نصادف في الواقع هذه النماذج في شكلها الحالص إلا نادرًا جدًا».

ماكس فيبر، رجل العلم ورجل السياسة، ترجمة نادر ذكري، بيروت، دار الحقيقة، 1982، ص. 47-48. (بتصرف).

2-2 الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه ماكس فيبر.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن ماكس فيبر يجيب عنه.

2- أبني أطروحة ماكس فيبر من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب ماكس فيبر عن الإشكال المطروح: فهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة ماكس فيبر وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهننته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحاجج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعا من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم ...

2-3/ التصور الفلسفي

السياسة هي مجال تدبير الشأن العام وتسييره، والدولة ذاتها، ليست إلا تعبيرا عن علاقات الهيمنة القائمة في المجتمع، وهي الهيمنة التي تقوم على مبدأ المشروعية انطلاقا من سلطة عقلانية قائمة على الاعتقاد بقواعد ومعايير موضوعية لصلاحية وكفاءة نظام مشروع وعلى تفويض لمقاييس السلطة. وسلطة تقليدية ترتبط بالاعتقاد بقدسية التقاليد وبشرعية مكانة السلطة ومن يمثلها، ثم سلطة كاريزماتية مدنية متأسسة على الولاء المطلق لشخص يعتبر قدوة أو نظام زعيم ما.

« هناك ثلاثة أسس للمشروعية... نفوذ التقاليد المقدسة... والنفوذ المبني على السحر الشخصي والفائق لفرد ما ... والسلطة التي تفرض نفسها بفضل الشرعية ».»

III- الموقف الفلسفي 2 : باروخ سبينوزا

1-3/ النص الفلسفي

غاية الدولة هي الحرية

إن الغاية القصوى من تأسيس الدولة ليست السيادة **١** أو إرهاب الناس أو جعلهم يقعون تحت نير الآخرين، بل هي تحرير الفرد من الخوف بحيث يعيش كل فرد في أمان بقدر الإمكان، أي يحتفظ بالقدر المستطاع بحقه الطبيعي في الحياة وفي العمل دون إلحاق الضرر بالغير. وأكرر القول بأن الغاية من تأسيس الدولة ليست تحويل الموجودات العاقلة إلى حيوانات وآلات صماء، بل المقصود منها هو إتاحة الفرصة لأبدانهم وأذهانهم **كما** تقام بوظائفها كاملة في أمان تام، بحيث يتمنى لهم أن يستخدموا عقولهم استخداماً حرّاً دون إشهار لأسلحة الحقد أو الغضب أو الخداع، وبحيث يتعاملون معاً دون ظلم أو إجحاف، فالحرية إذن هي الغاية الحقيقية من قيام الدولة.

(...) إن الشرط الوحديد الضروري لقيام الدولة هو أن تنبع سلطة **٢** إصدار القرار من الجماعة أو من بعض الأفراد أو من فرد واحد. ولما كانت أحكام الناس، إذا ما تركوا أحرازاً، تختلف فيما بينها كل الاختلاف، ولما كان كل فرد يظن أنه وحده الذي يعلم كل شيء، ونظراً إلى أنه من المستحيل أن يفكّر الناس كلهم ويعبروا عن أفكارهم بطريقة واحدة، فإنهم ما كانوا ليعيشوا في سلام لو لم يتخلى كل فرد عن حقه في أن يسلك وفقاً لما يميله عليه قراره الشخصي. وعلى ذلك فإن الحق الوحديد الذي تخلى عنه الفرد هو حقه في أن يسلك كما يشاء وليس حقه في التفكير والحكم.

وعلى ذلك فإن كل من يسلك ضد مشيئة السلطة العليا يلحق بها الضرر. ولكن المرء يستطيع أن يفكر وأن يصدر حكمه، ومن ثم يستطيع الكلام أيضاً، بحرية تامة، بشرط ألا يتعدّى حدود الكلام أو الدعوة، وأن يعتمد في ذلك على العقل وحده، لا على الخداع أو الغضب أو الحقد، ودون أن يكون في نيته تغيير أي شيء في الدولة بمحض إرادته.

باروخ اسبينيوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة 1997 ،ص:446.

2-3 الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالج سبينوزا.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن سبينوزا يجيب عنه.

2- أبني أطروحة سبينوزا من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب سبينوزا عن الإشكال المطروح : فهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغایر ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءاً من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3 التصور الفلسي

يرى اسبينوزا أن الغاية من تأسيس الدولة ليست تحويل الموجودات العاقلة إلى حيوانات أو آلات صماء، بل إن الغاية من وجودها هي إتاحة الفرصة لأبدانهم كي تقوم بوظائفها كاملة في أمان تام، حيث يتمنى لهم أن يستخدموا عقولهم استخداماً حراً، دون إشهار لأسلحة الحقد أو الغضب أو الخداع، ويعاملون مع بعضهم بدون ظلم أو إجحاف.

إن الحرية، بمعنى آخر، هي الغاية الحقيقية من قيام الدولة. ولما كانت أحكام الناس إذا ما تركوا أحرازاً، تختلف فيما بينهم كل الاختلاف، ولما كان كل فرد يظن أنه وحده الذي يعلم كل شيء، فإنهم ما كانوا ليعيشوا في سلام، لذلك كان من الحكمه والعقل، أن تقوم الدولة بذلك فمشروعية الدولة حسب اسبينوزا تقوم على أساس عقلي.

٧- الموقف الفلسي 3 : توماس هوبز

1-4 / النص الفلسي

غاية الدولة تحقيق السلام

توماس هوبس

يعتبر هوبس مؤسس الفلسفة السياسية الحديثة. ولعل أهم تصوراته هو كون الدولة تنشأ نتيجة تعاقد إرادي وميثاق حر بين البشر حتى يتخلوا من حالة الطبيعة، وهي حالة الحرب الدائمة، إلى حالة المدنية. وفي هذا النص المقتطف من كتاب «التنين» يحاول هوبس أن يبين أن غاية الدولة هي تحقيق الأمن والسلم في المجتمع.

«إن البشر وهم ذُوو ولع طبيعي بالحرية وعمارة الهيمنة على الغير قد أوجبوا على أنفسهم حُدُوداً يعيشون في كنفها داخل الجمهوريات التي أسسواها. وإذا سنوا هذه الحدود، جعلوا مُنتهَى طُموحهم وغايةَ سعيهم وهدف وجودهم أن يضمّنوا بقاءَهُم الذاتي وأن يحيوا حياةً أوفَرَ سعادةً بواسطة هذه الطريقة، فَعَانِيَتْهُم بعبارةٍ أخرى أن يتملّصُوا من حالةِ الحزبِ المُزِرِّة، وهي... نتائجةٌ ضروريَّةٌ للأهواء الطبيعية عندما لا تُوجَد سلطةٌ فعليةٌ تخضعُهم وتُنْزِيُّ بينهم خُشُبة العقوباتِ سواءً من أجلِ العملِ بالمواثيق التي أبْرَمُوها أو لاختِرَامِ قوانينِ الطبيعةِ (...).»

والسبيل الوحِيد لإِقامَة هذا النوع من السُّلْطَة المشتركة، الكَفِيلَة بِصِيَانَة الناسِ مِن هَجَماتِ الغرباء، وِوقَايَتِهِم من الأَضْرَارِ التي قد يُسَبِّبُها بعضُهُم لبعضٍ، والقادِرة على حمايَتِهِم بِحِيثٍ تَمْكِنُهُم مَهَارَتُهُم وَمَتْنُوحُ أَرْضِهِم من أن يقتاتُوا ويُخْيِّلُوا حِيَاةَ رَضِيَّةً، هو أن يعهدوا بكلِّ ما لَهُم مِن سُلْطَةٍ وَقُوَّةٍ إلى رَجُلٍ واحدٍ أو إلى مجلِّسٍ واحدٍ حتَّى تُضْبِحَ كُلُّ الإِرَادَاتِ الْكَثِيرَة، إِرَادَةً وَاحِدةً بِواسطةِ قَانُونِ الأَغْلِيَّة. وهذا يعني أن تَخْتَارَ المَجْمُوعَةُ رجلاً أو مجلِّساً مِنَ التَّوَابِ لِلاضطِلَاعِ بِشُؤُونِهَا بِصِفَتِهَا شَخْصِيَّةً مَعْنَوِيَّةً، ولا بدَّ أن يُقْرَرَ كُلُّ امرِيَّ -إِحْسَانًا أو إِذْرَاكاً- بِأنَّهُ هو مُصْدِرُ الفُعْلِ في كُلِّ مَا يَقْوِمُ به مِن وَقْعٍ تَعْبِيَّةٍ، وفي كُلِّ مَا يمكن أن يأمرَ به في المسائلِ المُتَعَلِّقةِ بالسلَّمِ وبِالْأَمْنِ المشترَكِ، ولا بدَّ بالتَّالِي مِنْ أَنْ يُخْضِعَ كُلُّ امرِيَّ إِرَادَتَهُ وحُكْمَهُ لِإِرَادَةِ هَذَا الرَّجُلِ وهذا المجلسِ وحُكْمِهِما.

وهذا أمرٌ يتجاوزُ في عُمقِه مجرَّدِ الموافقة والإجماعِ لأنَّه يعني اتحاداً حقيقياً تذوبُ فيه مجموعةُ الأفرادِ في ذاتِ شخصٍ واحدٍ. إنه اتحادٌ ناشئٌ من ميثاقِ عَقْدَهُ كُلُّ فردٍ مع سائرِ الأفرادِ على نحوِ خاصٍ وَكَانَ كُلُّ امرِيَّ يُخَاطِبُ غَيْرَهُ بِقَوْلِهِ: «إِنِّي قد تَنَازَلْتُ لَهُ عَنْ حَقِّي في أَنْ أَسُوسَ شُؤُونِي بِنَفْسِي، شَرُطْ أَنْ تَنَازَلَ مثْلِي عَنْ حَقِّكَ، وَأَنْ تَقْبَلَ كُلُّ فُعْلٍ صَادِرٍ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ أو عَنْ هَذَا المجلسِ». وإذا تمَّ ذلك، سُمِّيَ اتحادُ الكثرةِ في كيانِ واحدِ دُولَةٍ (...) وهي التي تَدِينُ لَهَا بِمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ سَلَامٍ وَأَمْنٍ».

Thomas Hobbes, *Leviathan*, trad. fr. Ticaud, Paris, Sirey, 1971, pp. 173-178.

2-4 / الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجُه هوبز
- صياغة السؤال الذي يفترض أن هوبز يجيب عنه.

2- أبني أطروحة هوبز من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناءً على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).

- استخلاص جواب هوبز عن الإشكال المطروح : أهو إثبات ل موقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءاً من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة ماكس فيبر وأطروحة سبيينوزا.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

4/ التصور الفلسفى

يرى هوبز أن الغاية من إنشاء الدولة كمجتمع سياسي هي ضمان سلم مدني ومنع حرب دائمة بين الأفراد، فالدولة هي نتاج لميثاق تعاقدي بين البشر، انتقلوا بموجبه من حالة الطبيعة (حرب الكل ضد الكل) إلى حال المدينة، وذلك من خلال تنازل كل فرد بمحض إرادته عن جزء من حرية الخاصة أو سلطته أو قوته لصالح رجل واحد أو مجلس واحد، يخضع له كل أفراد المجتمع ويتمتع بسلطة مطلقة تضمن الأمن والسلم الاجتماعيين.

«يسى اتحاد الكثرة في كيان واحد دولة... وهي التي ندين لها بما نحن فيه من سلام وأمن».

٧- تركيب

إن هذه الأطروحات المتعلقة بمشروعية الدولة وغاياتها، تتباين بين من يراها قائمة على منظور اتفاقي تعاقدي، يحفظ الأمن والسلم ويケفل تحقق الحرية الإنسانية، وبين من يراها تجسد تلك الإرادة العقلانية العامة الكونية التي تعبّر عن المضمون الحق للحرية المطابقة للعقل، تجسد بجلاء أهمية الدولة ودورها الرائد في التحقيق الفعلي لإنسانية الإنسان، بل وتوفير شروط تحقيق كماله.